

المستطرف في كل فن مستظرف

يا غلام ثم أقبل على الناس فقال أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون شيئاً عليه هذا أدبكم الذي تأدبتم به أما واه لأودينكم أدباً غير هذا الأدب اقرأ يا غلام فقرأ حتى بلغ قوله سلام عليكم فلم يبق أحد إلا قال وعلى أمير المؤمنين السلام ثم نزل بعدهما فرغ من خطبته وقراءته ووضع للناس عطاياهم فجعلوا يأخذونها حتى أتاه شيخ يرعش فقال أيها الأمير إني على الضعف كما ترى ولدي ابن هو أقوى مني على الاسفار أفتقبله بدليلاً مني فقال نقبله إليها الشيخ فلما ولد قال له قائل أتدري من هذا أيها الأمير قال لا قال هذا ابن صابيء الذي يقول .

(هممت ولم افعل وكدت وليتني ... تركت على عثمان تبكي حلائه) .
ولقد دخل هذا الشيخ على عثمان به وهو مقتول فوطئه في بطنه فكسر ضلعين من أضلاعه فقال الحاج ردوه فلما ردوه قال له الحاج أنت الفاعل بأمير المؤمنين عثمان ما فعلت يوم قتل الدار إن في قتلك إليها الشيخ اصلاحاً للمسلمين يا سراف اضرب عنقه فضرب عنقه وكان من أمره بعد ذلك ما عرف وسطر .

ومن حكايات الحاج ما حكي أنه لما أسرف في قتل أسرى دير الجمام وأعطى الأموال بلغ ذلك أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فشق عليه وكتب إليه أما بعد فقد بلغني عنك أسراف في الدماء وتبذير في العطاء وقد حكمت عليك في الدماء في الخطأ بالدية وفي العمد بالقود وفي الأموال أن تردها إلى مواضعها ثم تعمل فيها برأيي فإنما هو مال الله تعالى ونحن أمناؤه وإن كنت اردت الناس لي بما أغناك عنهم وإن كنت أردتهم لنفسك بما أغناك عنهم وسيأتيك عنك أمران لين وشدة فلا يؤمننك إلا الطاعة ولا يوحشك إلا المعصية وإذا أعطاك الله الظفر فلا تقتلن جانحاً ولا أسيراً وكتب في أسفل الكتاب